الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية
-التقليدية والحديثة-

أ/حـــنان مالكـــي
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة بسكرة

الملخّص:

كانت الأسرة ولا تزال محل اهتمام الكثير من المتخصصين في مختلف التخصصات، خاصة العلوم الاجتماعية والإنسانية نظرا لأهميتها، واعتبارها الخلية الأولى والرئيسية التي يتكون منها المجتمع،وتشترك الأسرة الجزائرية مع بقية الأسر في الوطن العربي بمميزات وخصائص، كما تتميز عنها بسمات خاصة أخرى تنفرد بها، كانت وليدة طبيعتها وظروفها التاريخية والثقافية والاجتماعية.

وسنحاول في هذه المقالة الوقوف على بعض الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية التقليدية والحديثة، مرورا بمراحل تطورها من العائلة إلى الأسرة النووية الحديثة.

Résumé:

La famille est toujours un intérêt pour de nombreux spécialistes dans différentes disciplines, en particulier les sciences humaines et sociales en raison de leur importance, et l'esprit de la première cellule et le constituant principal de la société, et de partager la famille algérienne avec d'autres familles dans le monde arabe est et les caractéristiques, tel que caractérisé par les particularités d'autres unique, est né de la nature et les circonstances de la mise au point historiques, culturels et sociaux .

Et nous allons essayer dans ce peuplement article sur quelques-unes des caractéristiques sociologiques de la famille algérienne traditionnelle et moderne, à travers les étapes de l'évolution de la famille à la famille nucléaire moderne.

قبل التطرق إلى الأسرة الجزائرية التقليدية، سنتطرق أولا إلى مفهوم مصطلح العائلة؛ فالعائلة هي وحدة اجتماعية أضيق وأصغر حجما من العشيرة*، وتعتبر العائلة حجر الأساس في البناء الاجتماعي.

ففي قاموس علم الاجتماع لـــEmilio Willems، يعرف العائلة كالتالي: "هي المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع امرأة أو عدد من النساء ومعهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين وكذلك الخدم". هذا التعريف للعائلة ما يقابله الأسرة الممتدة اليوم هو تعريف اجتماعي، يحدد أعضاء الأسرة حيث يشمل الرجل أو الرجال، الزوج أو الأزواج، المرأة أو النساء والأقارب (زوجة الابن وزوجة الأخ وآخرين) ثم الخدم فهم يعدون ضمن أفراد هذه الأسرة الكبيرة، فالعائلة هي إنتاج جماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه، فالعائلة تتحول حسب ظروف المجتمع الذي تنتمي إليه.

ويقول "**بيير بورديو Pierre Bourdieu**": "إن الأسرة الممتدة هي الخلية الاجتماعية الأساسية (...) النموذج الذي على صورته تنتظم البنيات الاجتماعية، لا تقتصر على جماعة الأزواج وذرياتهم، ولكنها تضم كل الأقارب التابعين للنسب الأبوي جامعة بذلك تحت رئاسة قائد واحد عدة أجيال في جمعية واتحاد حميمين"(1). فالعائلة إذن، هي أسرة ممتدة تجمع عدة أسر نووية*وعدة أجيال متعاقبة، يرأسها رئيس واحد بيده السلطة المادية والروحية.

أما الباحث "**العيد دبزي وروبير ديزكلوتر** "**L.DEBZI et R.DESCLOITRES**" فيعرفان الأسرة الجزائرية التقليدية بأنها "جماعة منزلية تدعى "العائلة" من الأقارب القريبين الذين يشكلون وحدة اجتماعية اقتصادية قائمة على علاقات الالتزام من تبعية وتعاون"(2).

الأســـرة الجزائريـــة التقليدية:

كانت الأسرة الجزائرية التقليدية (العائلة)، أسرة ممتدة مركبة متصلة برابطة الدم، وهو النمط المكون من عدد كبير من الأفراد تجمعهما في الغالب صلة القرابة " فالعائلة الجزائرية هي عائلة موسعة، تتضمن عدد كبير من الأفراد يترواح عددهم من

20–60 شخص يعيشون جماعيا"(3)، وتعتبر العائلة الجزائرية عائلة بطريقية، يكون فيها الأب أو الجد هو قائد الجماعة.

التعريف والنشأة:

لقد حاولنا البحث في العديد من المكتبات النظامية والالكترونية عن مراجع أو دراسات تناولت الدول العربية من الناحية السوسيولوجية، فوجدناها قليلة جدا، فلا بد أيضا من الإشارة إلى أن الدراسات الخاصة بالأسرة الجزائرية محدودة بل ونادرة، وبالأخص منها تلك الدراسات التي تتعرض للعلاقات الأسرية ولبناء الأسرة وتغيير وظائفها والمشكلات التي تتعرض لها، وإذا كانت هناك دراسات، فهي ذات طابع اثنوغرافيتتعلق ببعض العادات كالأزياء والحلي والوشم والزواج وأثاث المنزل وغيرها.

لعل من أهم الظواهر المنتشرة والمرتبطة بالأسرة الجزائرية في الآونة الأخيرة، تحولها من نمطها الممتد الواسع إلى نمط الأسرة الحديثة المحدودة الأطراف، نتيجة التغيير الكبير الذي صاحب التغيرات في المجتمعات الصناعية، وانتشار اتجاه استقلالية الأسرة النووية عن وحدات النسق الأسري الكبير، حيث خضع المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الأخرى إلى صيرورة تاريخية في مراحله المختلفة، بدءا من الفترة الاستعمارية التي امتدت من سنة 1830 إلى 1962، أما بالنسبة لفترة ما بعد الاستقلال والتي امتدت من عام 1992 إلى الوقت الحاضر، فقد شهدت فيها الجزائر تحولات وتغيرات سريعة في مسيرتها نحو التقدم، باعتبارها بلد متطلع في مجالات كثيرة السياسية فيها والاجتماعية والثقافية، وكل تحول في المجتمع ينعكس أثره بالدرجة الأولى على كافة الأبنية الاجتماعية، ومنها البناء الأسري، فعلى سبيل المثال زيادة نسبة الولادات مثلا تمس المجتمع مباشرة، وذلك بزيادة النمو الديمغرافي والذي يترتب عنه بعض الآثار السلبية، كارتفاع نسبة البطالة، وانخفاض الدخل الفردي وبالتالي ضعف في المستوى المعيشي وغيرها من المشكلات الاجتماعية المصاحبة، فالأسرة الجزائرية بعد أن كانت أسرة ممتدة (عائلة موسعة) ذات أطراف متعددة، أصبحت عائلة محدودة العناصر (أسرة نووية) وتعرف هذه المرحلة بمرحلة انقسام العائلة، كما أن الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري أصبحت خاضعة إلى التغيير قصد التجديد في جميع الميادين، ولهذه العملية وغيرها وسائل وأساليب معينة كالسياسة التنموية والمواثيق الرسمية وغيرها، والهدف من ذلك تكوين مجتمع متطور

قادر على أن يدمج الأسرة النووية في كل المسالك، وأن تكفل لها ولأفرادها من آباء وأبناء؛ الاحتياجات التي تتطلبها الحياة العصرية. وإذا أردنا إعطاء تعريف الأسرة الجزائرية، نجد تعريفا لما كان يطلق على الأسرة الجزائرية اليوم، ألا وهو مصطلح العائلة الجزائرية، وهذا ما يقابل الأسرة الممتدة، ويعرفها الباحث "**مصطفى بوتفنوشت**" على أنها": "عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد (الدار الكبرى) عند الحضر والخيمة الكبرى عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا(4)". في هذا التعريف يشير الباحث بخاصة إلى الوحدة السكنية التي تشكلها العائلة، مهما اختلفت ظروف الإقامة وظروف البيئة المادية المحيطة بالأسرة.

I-الخصائص السوسيولوجيةللأسرة الجزائرية التقليدية:

إننا عندما نتحدث عن الخصائص السوسيولوجية للعائلة، فإننا نسعى إلى إبراز سمات النموذج الاجتماعي الثقافي للأسرة الجزائرية التقليدية، التي انبثقت منها الأسرة الجزائرية المعاصرة المتحولة، وفيما يلي أهم هذه الخصائص:

1- العائلـــة هي أسرة ممتدة:

وهي العائلة التي تتركب من خليتين أسريتين أو أكثر، وتضم أكثر من جيلين اثنين، فتشمل الأجـــداد والآبـــاء والأحـــفاد، ويقطن هؤلاء جميعا في محل سكني مشترك، ويمكن أن يكون هذا الامتداد عموديا فيضم أسرة الأب التي تمثل النواة، وأسر أبنائه المتزوجين التي تحيط بهـــا، أو أفقيـــا فيشمـــل اتحـــاد أسر الإخـــوة بعد وفاة أبيهم، والشكلين التاليين يوضحان كلا النموذجين.

الشكـــل رقم (01): مثال لأسرة ممتدة عموديا

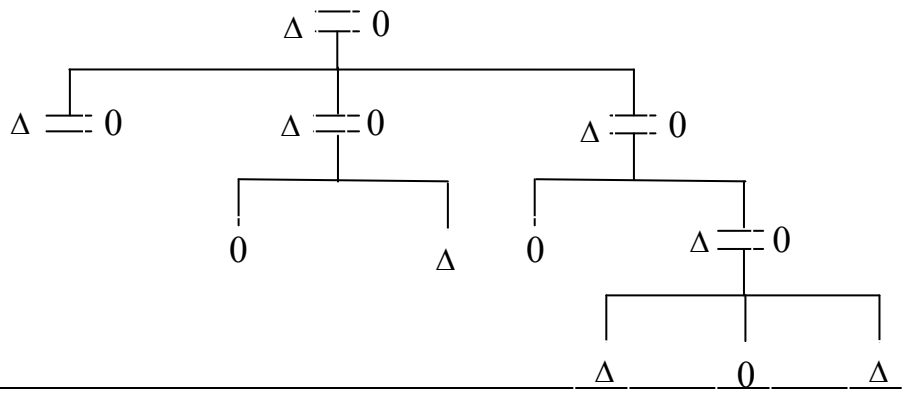

الشكل رقم (02): مثال لأسرة ممتدة أفقيا

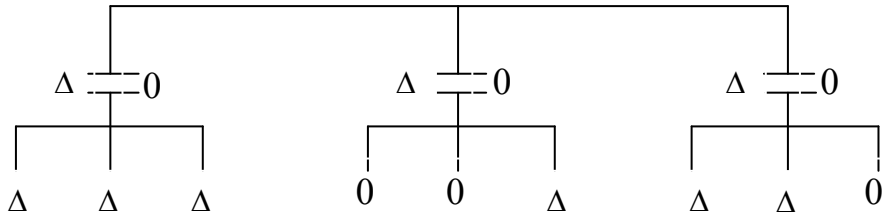

المفتاح:

Δ: ذكر

0: أنثى

: علاقة زواج نتج عنها إنجاب

: علاقــة أخــوة

2- العائلة تمثل وحدة اجتماعية:

لقد شكلت العائلة في المجتمع التقليدي وحدة إنتاجية غي منقسمة، ونبع تماسك أفرادها من رابطة الدم، ووحدة الملكية بغض النظر عن كونها أرض أو قطيع أو أي رأس مال جماعي آخر، فالملكية العامة في العائلة هي ملكية خاصة لا يجوز بيعها أو تقسيمها.ويقول في هذا الصدد الباحث "محمد الطيبي": "فأولوية القرار العائلي على القرار الفردي في مسألة التصرف بأراضي الملك، جعل من هذه الأراضي اسمنت العائلة وأحد أسس ترابطها"(5).

ونظرا للأهمية الاقتصادية التي تؤديها العائلة لأفرادها في المجتمع التقليدي، فإنه "كان لا يحدد مركز الشخص كفرد معزول، ولكن ينظر إليه كعضو في أسرة محددة معينة، إذ كان اسم الأسرة هو المهم والمؤشر وليس اسم الشخص الفرد.."(6).

3- العائلة تمثل أسرة أبوية:

لقــد شكل الجد، الأب وأحيانا الأخ الأكبر رئيسا ومركز القوة في العائلة التقليدية، وسلطته نهائية ومطلقة، خولتها له الأعراف والتقاليد والعادات، وهو بدوره يسهر على وحدة جماعته وتماسكها، وينوب عليهم في الداخل والخارج، وهي كذلك أبوية من حيث النسب (Patritineale/Agnatique)، ومن حيث محل الاقامة أيضا، أي أن إقامة الزوجين تخضع لقاعدة السكن مع والد الزوج.

4- العائلة هي أسرة هرمية:

تميزت العائلة الجزائرية التقليدية أيضا بالهرمية أو الطبقية، حيث أن تقسيم العمل والنفوذ والمكانة كان على أساس الجنس والعمر(07).، فالسلطة بيد كبار السن من الذكور وعلى رأسهم رب العائلة، وهذا ما شكل هرما سلميا لتوزيع السلطة وعلاقات اجتماعية تراتبية، وتقسيما اجتماعيا خاصا: قسم خاص بالرجال ويمنع على النساء، وقسم خاص بالنساء ويكون داخل المنزل ويحضر على الرجال البقاء فيه في فترة النهار.

4- العائلة تجيز تعدد الزوجات وتفرضه:

تعتبر الأسرة متعددة الزوجات شكلا من أشكال الأسرة، وهي الأسرة التي تتكون من زوج واحد وأكثر من زوجة واحدة، بالإضافة إلى الأطفال، والزواج يشترط فيه الشرعية التي تكتسب من خلال الإجماع بالموافقة، ولابد أن يكون للزوج أكثر من زوجة واحدة في نفس الوقت لا على فترات متباعدة، وتتسم العائلة بالزواج الداخلي، وهذا لتمتين رابطة الدم وإبقاء الإرث في يدها، عكس الزواج الخارجي الذي يبنى على مصالح اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية قاهرة.

II- الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية الحديثة:

بعـــد أن تطرقنـــا إلى أهم الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية التقليدية، نحاول تحت هذا العنوان التطرق إلى خصائص الأسرة الجزائرية الحديثة، وهذا بعد المرور بمراحل تطورها والتغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري قبل وبعد الاستعمال الفرنسي.

الأســـرة الجزائرية وتطورها:

تعتبر الأسرة صور مصغرة للمجتمع الكبير نفسه، إذ نجد أن العلاقات السائدة في المجتمع هي نفسها التي تسود في الأسرة، وأن الثقافة السائدة في المجتمع تسود هي الأخرى الأسرة والتغيرات التي تحدث ضمن الأسرة لا يمكن فصلها عن التغيرات التي تحدث في المجتمع وخاصة في مرحلة انتقالية بين القديم والجديد، وأي تغير في المجتمع يقتضي تغير الأسرة، والعكس صحيح(8).

ولا يمكن التعرف على الأسرة الجزائرية وتطورها دون التعرض للتحولات والتغيرات التي حدثت وتحدث في المجتمع الجزائري في حد ذاته، فقد كان المجتمع الجزائري قبل الاستعمار يتكون من مجموعة من القبائل والعشائر وعلى رأس كل قبيلة أو

عشيرة شيخ، وله مرتبة خاصة في هذه القبيلة أو العشيرة، فهو القائد الروحي للقبيلة ينظم فيها كل الأمور المادية والروحية، فهو المسؤول عن توزيع الأدوار والوظائف وحماية أعضاء القبيلة ورعايتهم وفك النزاعات التي تحدث داخل القبيلة ولم يكن المجتمع الجزائري يتبع النمط الطوطمي، كما أن المجتمع المنزلي لم يكن مبنيا على العائلة، بل كان هناك عبارة عن جماعة اجتماعية قائمة على القرابة الأبوية كرابطة طبيعية، بالإضافة إلى تأثر المجتمع الجزائري بالإسلام، هذا الدين الذي ترك آثاره القوية في تقاليد الأسرة الجزائرية من خلال السلوكات والعلاقات القرابية لأفرادها(9).

وقد أدى دخول الاستعمار الفرنسي إلى المجتمع الجزائري إلى العديد من التغيرات الاجتماعية المختلفة، فقد عمدت السياسة الاستعمارية إلى تفكيك النظام القبلي، وذلك بتجريد العشائر والقبائل من أراضيها كونها المصدر الاقتصادي ووحدة النظام الاجتماعي، وذلك من أجل تحطيم الروح الجماعية والعلاقات العائلية المدعمة بالملكية الجماعية، وتحرير الفلاح الجزائري من العلاقات القرابية التي تنسجها القبيلة أي تقليص الوحدة القرابية للفرد الجزائري، وهكذا حلت الملكية الفردية محل الملكية الجماعية، وانتقلت السلطة من حكم شيخي إلى نظام أبوي، ومن هنا بدأ توسيع السلطة الأبوية في المجتمع الجزائري وانتقال هذا الأخير من النظام العشائري إلى النظام العائلي في شكله الممتد الذي يتكون من عدة أسر يجمعها مسكن مشترك، وتتميز والعلاقات القائمة في الأسرة الممتدة باختلافات واضحة حسب السن، والجنس والاتجاه القرابي.

وأهم ما يميز الأسرة الجزائرية التقليدية ذلك الحاجز بين الجنسين، وهو حاجز سميك يرتكز على فكرة المحافظة على البقاء الأخلاقي والجسدي للمرأة (10)واعتبار أن مهمتها مقتصرة على التنظيم المنزلي من طبخ وغسيل وغيره من الشؤون المنزلية المختلفة، وتبرز مكانة المرأة وتصبح ذات أهمية كلما كان لها عدد كبير من الأولاد الذكور، فهم مركز الاهتمام في الأسرة الجزائرية، وكما تتميز العلاقة القائمة بين الأب والأبناء بالاحترام للأب، ويظهر ذلك من خلال الحياء وعدم الكلام بصوت مرتفع أمامه(11).

ولكن ما إن ظهرت الثورة التي تميزت بالالتحام حول أهداف الحركة الوطنية، أدى ذلك إلى تغير العائلة التقليدية الجزائرية وكذا تغير اجتماعي داخل المجتمع الجزائري بصفة عامة(12)، وبعد أن تحصل المجتمع الجزائري على الاستقلال

سنـــة 1962، أصبحت بنية العائلة التقليدية الجزائرية مفككة، حيث أن أغلب الشهداء كان لهم أسر، وبالتالي حرم حوالي 300.000 من الأطفال من مراقبة ودعم آبائهم، وزيادة على ذلك فإن غياب الأب كرئيس تقليدي للعائلة سبب مشاكل حادة أثرت على استقرار هذه المؤسسة، وبعد فترة الاستقلال أصبح المجتمع الجزائري يمر بمرحلة تغيير عميق في البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، كما مس هذا التغير البناء الأسري باعتبار الأسرة الجزائرية وحدة من وحدات المجتمع الجزائري، وعرفت ثلاثة أشكال:

أ- شكل الأسرة المحافظة والتي توجد خاصة في القرى، مع وجودها بقلة في المدن.

ب- شكل الأسرة الانتقالية التي تجمع في نفس الوقت بين الأفكار الداعية للعصرنة والأفكار الداعية إلى المحافظة على الأفكار التقليدية، ويسود هذا الشكل خاصة في المدن الكبرى والمراكز الحضرية مع وجودها بقلة في الأرياف.

ج- شكل الأسرة المتطورة، التي تميل إلى الحياة الأوروبية في اللغة والعادات واللباس غير أن هذا الشكل وجوده قليل في المدن ويكاد ينعدم في القرى.

غير أن التغيرات التي أحاطت بالأسرة الجزائرية الممتدة أصبحت تتسم بدرجات متفاوتة أي أنها تعددت بصورة نسبية وطبقا لتقدم الأحوال الحضرية العامة في المجتمع الجزائري ككل(13)، وأشارت بعض الدراسات إلا أنه تبعا لحركة النزوح زمن الريف إلى الحضر بدأت الأسرة الجزائرية تفقد شكلها كأسرة ممتدة (يصل عدد أفرادها إلى أكثر من 40 فردا) لتتجه نحو شكل الأسرة الزواجية أو النووية، وهكذا بدأت المدن الجزائرية تستمر بهذا الشكل الجديد، وتحول بناء الأسرة الجزائرية من النظام الممتد إلى النووية، إلا أنه لم يكن بارزا بشكل واضح إلا بعد أن نزحت الأسرة إلى الوسط الحضري المختلف عن الوسط الريفي، ومن نمو اجتماعي واقتصادي استهلاكي يقوم بالدرجة الأولى على علاقات القرابة ويعتمد على النتاج الزراعي والحيواني، إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد الصناعـــي والتجارة ويحكمه العمل المأجور في الزمان والمكان(14) وأصبحت الأسرة الجزائرية المعاصرة (النووية) تتميز بصغر حجمها وتغير وظائفها وتغير مراكز أفراد الأسرة وخروج المرأة للتعليم وميادين العمل، كما أن تطور ونمو الاتصال بكل أشكاله والحراك الاجتماعي والإعلامي وتطور التعليم والعلاقات وتوزيع وتبـــادل الإيديولوجيات عن طريق الصحافة المكتوبة والإذاعة والكتب والسينما والتلفزيون، كان له تأثير على البنية الأسرة الجزائرية وتطورها[15].

ويمكننا تلخيص المراحل التي مرت بها الأسرة الجزائرية في المراحل التالية:

1- مرحلـــة ظهور العائلة:

تعد العائلة إنتاج اجتماعي تعكس صورة المجتمع المتواجد فيه، وتتطور بتطور وظروف هذا الكيان، ولذلك تعتبر العائلة أحد المؤسسات الأساسية التي تشمل عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع عدد من النساء ومعهم أقارب آخرين وهذا يشير إلى البناء العائلي الذي يشمل: الزوج والزوجة والأقارب.

2- مرحلـــة انقسام العائلة:

عرفـــت العائلـــة الجـــزائرية الحديثة مرحلة انقسام خاصة للشكل العائلي البسيط، الذي انحدر منه انفجار العائلة الموسعة، وحدث هذا في مرحلة ما بعد الاستقلال.

3- مرحلـــة ظهور الأسرة الحديثة:

من أبرز المشكلات المعرفية التي تواجه علم الاجتماع العائلي بصفة خاصة الأسرة الحديثة ودورها في المجتمع الإنساني نتيجة ظروف نشأتها الاجتماعي، الاقتصادي والمهنية، وأمام هذا الوضع الجديد، فالأسرة الحديثة أخذت في تكوين إيديولوجية جديدة يميزها وتدعم وجودها، لا سيما منها الأسرة الحديثة في المجتمع الغربي التي طرأت عليها تطورات شاملة النطاق في كل الطبقات، حيث رافق هذا التحول الكبير، تفكك النسق القرابي القديم إلى وحدات قرابية صغيرة نسبيا ومستقلة عنها، نعني الأسرة الممتدة والعشيرة، القبيلة، ومن أبرز هذه الوحدات: الأسرة الحديثة أو النووية والتي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين، وكلهم يعيشون تحت سقف واحد بشكل مستقل عن أسرتي التوجيه أي أسرة كل من الزوج والزوجة.

أما المجتمع الجزائري بعد الاستقلال فحدث فيه تغير ديناميكي علىنطاق واسع,إذ توسع نظام التربية والتعليم بوتيرة معتبرة أظهرت قواعد مدنية تنافسالقوانين المعرفية إضافة إلى توسع المشاريع العمرانية في مناطق جغرافية عديدة، كماوضعت إستراتيجية جديدة للتنمية الريفية في إطار التخطيط العمراني "القرىالاشتراكية" والثورة الزراعية لضمان الاستقرار وفرص التشغيل,كما تخصص أفرادالعائلة في تخصصات مهنية عن طريق التكوين المهني ثم الدخول بعدها في أعمال مختلفةومهن متنوعة خططت لها الدولة وكانت تهدف من ورائها لترقية الأحوال المادية للشعبوالموافقة بين البنية التحتية (الأسرة)والبنية الفوقية(إجراءات,قوانين ....)لتجسيدمفهوم العائلة الزواجية واقعا(16).

إن ظهور الأسرة الحديثة وانتشارها لم يكن نتيجة إنتاج معين، أو مستوى معيشي أو نشاط اقتصادي بل هو قالب نموذجي له ظروفه، واستعداد ثقافي خاص للأفراد في المجتمع وفي حالة تفاعلهما معا، والذي يقاس ضمنيا درجة الوعي السائد بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، لكن الأمر الذي ينبغي تأكيده هو اختلاف المجتمع الجزائري عن بقية المجتمعات المذكورة يرجع إلى أسباب معيشية منها:

- ضعف الدخل القومي والفردي.
- غموض الإيديولوجية المتبعة في المجتمع الجزائري.
- التبعية الضمنية للمستعمر بأسلوب مباشر أو غير مباشر.
- تاريخ وحضارة المجتمع الجزائري الذي يعود إلى أكثر من 25 قرنا(17).

وبناء على ما سبق يمكن القول أن الأسرة الجزائرية، وإن كانت تتجه في تطورها نحو الأسرة الزواجية إلا أنها مازالت تحتفظ بالكثير من مظاهر الأسرة الممتدة فأصبحت تجمع خصائص الأسرة الحضرية ووظائف الأسرة الريفية ويظهر ذلك في حرصها على العادات والتقاليد والقيم والأعراف والنظرة الجماعية للسلوك الفردي الذي يتمثل في رقابة وضبط سلوك كل فرد في الأسرة وتوجيهه الوجهة التي ترفع مركز الأسرة في المجتمع وتحافظ على شرفها ويرجع ذلك إلى قوة التقاليد والتراث المشترك وما تركه الإسلام من آثار قوية في التقاليد الأسرية من جهة، كما أثرت الحياة في المدينة على الأسرة الجزائرية الممتدة من حيث البناء والسلطة والزواج والإنجاب والوظائف التقليدية للأسرة كالتربية والضبط الاجتماعي والدف العاطفي لأفرادها وبدرجات متفاوتة نتيجة اختلاف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومناطق الإقامة لكل أسرة(18).

ولا يمكننا تجاهل ما مرت به الأسرة الجزائرية في سنوات المأساة الوطنية 1991م- 2000م حيث عاشت الجزائر سنين الجمر لم تشهد لهامثيلا أي دولة عربية مسلمة، القتل والتشريد والتهجير من القرى، وعدم الأمن خلالالسفر، يضاف إلى ذلك عدم الإحساس بالأمان في البيوت نفسهاممما شكّل حالة من القلقوالرهبة في نفوس المواطنين، الذين انطووا على أنفسهم، وتكدر صفو حياتهم اليوميةالتي أصبحت خليطا بين هاجس الخوف اليومي والخوف من الغد، ولنا أن نتصور حال الأسرالجزائرية ومعاناتها اليومية في البحث عن الأمن والأمان لأبنائها، ناهيك عن البحثعن لقمة العيش التي يشارك فيها الأطفال أنفسهم في ظل تدهور الحياة الاقتصاديةللبلاد، فقد أثرت هذه التغيرات وغيرها

وشكلت ضغوطا على الأسرة، فمست بناءهاووظيفتها، وضعفت معها الكثير من وظائف الأسرة المطلوبة مثل التربية الجسميةوالنفسية والعقلية، والتربية الخلقية والدينية، ناهيك عن التنشئة الاجتماعية التيتوجه سلوك الطفل نحو اكتساب العلاقات الاجتماعية مع الآخرين؛ إذ تقوقعت كل أسرة علىنفسها، وضيّقت من حدود ومجالات التعامل حتى بين الجيران أنفسهم، وبفعل الظروف الاقتصاديةوالسياسية والاجتماعية المتردية، جعل الآباء أكثر عرضة للقلق والتوتر ومشاعرالإحباط، وهذا ما انعكس سلبا على أساليبهم التربوية داخل الأسرة وعلاقاتهم بأبنائهم، وهنا لابد منالإشارة إلى أنه في هذه المرحلة ظهرت أسر جيل الجامعات أي الأسر المثقفة التي يعدأحد الوالدين فيها على الأقل خريجا جامعيا.

وفي السنوات الأخيرة ومع بوادر انفراج الأزمة الجزائرية 2000م-2006م: يمكننا القول أنه بانفراج الأزمة التي عاشتها الجزائرأكثر من 10 سنوات، شهدت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ازدهارا كبيرا،كان له الأثر العميق على الحياة اليومية للمواطن الجزائري عموما وعلى الأسرةالجزائرية خصوصا، فكل تغيير إيجابي أو سلبي في الحياة العامة للبلاد يكون له تأثيرهالإيجابي والسلبي كذلك على يوميات الأسرة الجزائرية، ومنه على طرق التعامل أفرادالأسرة مع بعضهم البعض، فحالة الاكتئاب التي يشعر بها الأب خارج البيت تنعكس سلباعلى طريقة تعامله مع زوجته وأولاده، كذا الأمر بالنسبة للأم فإذا كانت حالتها سيئةمع الزوج فإن هذا سينعكس مباشرة على الأولاد، مهما حاولت الأم ألا تظهر حقيقة ماتمر به، والأسرة الجزائرية اليوم هي وليدة تلك التغيرات الاجتماعية والثقافية التي حدثت في أوروبا، والتي تجسدت في الثورة الفرنسية أو من خلال ما شهده المجتمع الحديث من تغيرات نتيجة التصنيع والتحديث على الأسرة في إطار الثورة الصناعية، فأحدثت فيها تغيرات جذرية مهمة على مستوى الرؤية التصورية للحياة في النمط المعيشي، ولعل أبرز هذه التغيرات التي طرأت على الأسرة نذكرها فيما يلي:

أ- صغـــر الحجم:

إن الأسرة الحديثة تمتاز بضيق نطاقها وصغر حجمها، فهي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد المباشرين.

ب- تغير المركز الاجتماعي لعناصر الأسرة:

"كان وضع المرأة في الحياة الاجتماعية أكثر المراكز تغييرا خاصة في نصف القرن الأخير، فقد نزلت المرأة إلى ميدان العمل وذاقت حلاوة الكسب وشعرت بقيمتها

الاقتصادية وبأنها أصبحت سيدة موقف وتستطيع أن تكفي نفسها بنفسها، ومن ثم فلا داعي لتحمل القيود التي كان يفرضها عليها الرجل"(19)، وبالتالي أضحت المرأة عنصرا ايجابيا تتدخل في اختيار شريك حياتها ورسم خطوط حياتها الزوجية، وتقاسمت مع الرجل السيادة على الأسرة، وأصبحت تتصرف بحرية ومسؤولية في شؤون منزلها.

ج- سيادة الاتجاهات الديمقراطية:

كانت نتيجة انتشار النظرية الديمقراطية لتحقيق المساواة وتكافؤ الفرص وانتشار التعليم الإلزامي، فتعلمت بذلك البنت ونالت قسطا كبيرا من الثقافة وشعرت بحريتها الفكرية، وقد انعكس كل هذا على حياة الأسرة الحديثة، وأصبحت بذلك النزعة الديمقراطية هي التي تسيطر على مناقشات الأسرة، وأصبحت الصراحة والتفاهم هما العاملان المسيطران على مختلف الاتجاهات داخل الأسرة.

هـ- تراجع سلطة الوالدين:

تمتاز الأسرة الحديثة بالحريات الفردية، فلكل فرد كيانه الذاتي وشخصيته القانونية لا سيما إذا بلغ السن الذي يضفي عليه هذه الأهلية، "وبالتالي تصبح له اهتمامات أخرى خارج الأسرة، والأم العاملة لها دائما ارتباطات والتزامات بميدان العمل، والأب كذلك دائم الانشغال خارج البيت، ومن هنا لم تعد السلطة الأبوية من المفاهيم الرائجة في الأسرة الحديثة خاصة المجتمعات الغربية، فالأطفال في هذه المجتمعات يحتكون منذ فترة مبكرة من حياتهم مع بيئات خارج نطاق الأسرة كجماعات اللعب في الحي، جماعات الهوايات،..وانخراط الأطفال في هذه البيئات يشغل قدرا كبيرا من اهتماماتهم وتفكيرهم، هذا إضافة إلى وسائل الاتصال الجماهيري كالتلفزيون،..الخ"(20).

وبالتالي تؤثر تلك الأشياء في سلوك الأطفال وتوجيههم، مما يجعل سلطة الأب والأم على الطفل في تراجع، وقد دعم هذا التراجع انتشار المذاهب الديمقراطية التي تفرض أي سلطة على الأطفال.

و- العناية بتنظيم الناحية الترويحية والمعنوية في محيط الأسرة:

وذلك بتنظيم أوقات الفراغ والعناية بمختلف الفنون، وكذا تتمثل العناية بالناحية الترويحية في الذهاب إلى السينما والحدائق العامة والأندية والمهرجانات، وبالتالي أصبحت هذه الأمور من أهم مقومات حياة الأسرة الحديثة، وذلك بتخصيص جزء من ميزانيتها لها.وبالتالي الأسرة الجزائرية تشارك العالم في معظم التغيرات الحادثة وتتفاعل

معهم، ولكن بالمقابل تحاول أن تحافظ على تراثها وهويتها وانتمائها الحضاري الذي من خلاله تستطيع أن تحافظ على نفسها في وسط الحضارات الغريبة المهيمنة، وترسم لنفسها مكانة في الساحة العالمية، محافظة بذلك على قيمها ومبادئها وأطرها الدينية.

إن العائلة الجزائرية هي عائلة متماسكة أي أن الأب له المسؤولية على كامل الأفرادفالبنات لايتركن البيت إلا عند زواجهن والأبناء لايتركون البيت الكبيرة.

4- العائلة مصطلح يفهم منه تماسك الجماعةالأسرية الجزائرية التي يصفها ابن خلدون بالعصبية فبواسطتها تطورت القبائل نحوالسلطة ونعني بها الشرف الأكبر، الذي يوضح الموقع الروحي والاقتصاديللجماعة في الأسرة(21).

والملاحظ أن البنية الاجتماعية عبر اختلاف أشكال الحياة لسكان الجزائر بقيت مستقرة(22)، فالمجتمع الجزائري كان فيما مضى ذو عائلات ممتدة، لكن نتيجة للتغيرات الاجتماعية الكبيرة تحول إلى مجتمع ذو عائلات نووية مع وجود عدد قليل نسبيا من العائلات الممتدة.

أما فيما يخص الأسرة الجزائرية، فعلماء الاجتماع لم يتوصلوا إلى إيجاد الخصائص وتسمية واضحتين للأسرة الجزائرية، فمنهم من يتحدث عن الأسرة الممتدة، أو المركبة أو الموسعة، ويرجعون هذه التسمية إلى النموذج الأسري الفريد للأسرة الجزائرية وآخرون يتحدثون عن نموذج أسري متنوع مقدمين بذلك عدة أنماط للأسرة الجزائرية "غير أن الاتجاه السائد يتعلق بوصف نموذج أسري ناتج عن استراتيجيات تكيف متعددة ومختلفة، ففي البحوث الميدانية يؤكد علماء الاجتماع على اختلاف وتعدد أشكال الأسر في الجزائر، أسرة نووية (زوجين وأطفال)، أسرة مركبة تتكون من عدة أزواج مع أطفال تمثل وحدة استهلاك تشترك في محل إقامة واحد"(23).

ويذهب الباحث"**هـــواري عـــدي**" إلى أن كلا النمطين هما عبارة عن مرحلة أو حالة انتقالية ليس إلا، لكن حاليا، حتى وإن كانت الأسرة الجزائرية لا تضم أجيالا عديدة كما كان سابقا، إلا أنها لم تشهد تناقصا في حجمها بصفة واضحة حتى تم من أسرة ممتدة إلى أسرة ضيقة"(24).

وكخلاصة؛ يمكننا تمييز خصائص الأسرة الممتدة التقليدية عن خصائص الأسرة النووية الحديثة في الجدول التالي:

الأســـرة الممتدة	الأســـرة النووية
– تشكل وحدة اقتصادية متعاونة	– تتميز باستقلالها الاقتصادي.
– قائمة أساس على رابطة الدم أكثر من رابطة الزواج أو المصاهرة.	– تسودها رابطة الزواج والمصاهرة أكثر من رابطة الدم.
– تنتشر أكثر في المجتمعات التقليدية والشعبية والريفية.	– تنتشر أكثر في المجتمعات الحديثة الحضرية والصناعية.
– تسودها علاقات اجتماعية تراتبية هرمية، ويتمتع كبير السن فيها بسلطات واسعة على جميع أفرادها.	– تسودها علاقات اجتماعية ديمقراطية مبنية على أساس التفاهم والتعاون وتوزيع الأدوار.

قائمـــة الهوامش:

1- LaouariAddi: **De l'Algerie précoloniale à l'Algerie coloniale,** Alger, ENAl, 1985, P93.
2- Robert Descloîtres, LaïdDebzi: **Système de parenté et structure familiales en Algérie**, in Annuaire d'Afrique du nord, Paris, CNRS, 1963, P29.
3- مصطفى بوتفنوشت، ترجمـــة: أحمـــد دمـــري: **العائلـــــة الجزائريـــــة** (التطـــور والخصائص الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984، ص37.
4- مصطفى بوتفنوشت: مرجع سابق، ص37.
5- محمد الطيبي: **الجزائر عشية احتلالها أو سيوسيولوجيا قابلية الاحـــتلال**، وهـــران، وحدة البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، 1992، ص17.
6- الوحيشي أحمد بيري: **الأسرة والزواج** (مقدمة في علم الاجتماع العائلي)، طـــرابلس، الجامعة المفتوحة، 1998، ص71.
7- حليم بركات: **المجتمع العربي المعاصر** (بحث استطلاعي اجتماعي)، بيروت، مركـــز دراسات الوحدة العربية، 1984، ص179.
8- هشام شرابي: **مقدمـــات لدراسة المجتمـــع العربـــي**، منشـــورات صـــلاح الـــدين، القدس(فلسطين)، 1975، ص.ص(38-39).
9- مصطفى بوتفنوشت: مرجع سابق، ص273.
10- Boutefnouchet M : Op. Cit. , P17.
11- Fabon, F:**Sociologie d'une Révolution**, P C M , Paris,1982 , P19.
12- Desclotres, R et Debri L: **Système De Parente et Structure Familiales en Algérie**, Paris, 1965, P11.
13 - Lacoste Camille-Dujardin: **Des Mères Contre Les Femmes Maternité Et Patriarcat Au Maghreb**, Alger, 1990., P.P(190-191).
14- محمد السويدي: **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص89.
15- عمار هلال: **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر**, ديـــوان المطبوعـــات الجامعية, الجزائر، 1982، ص122.
16 -MostafaBoutfnoucht: Op., Cit., P09.

17- عبد القادر حمر الرأس: **الأسرة وتعاطي المخدرات**، دراسة ميدانية بالبليدة، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ص26.

18- سامية مصطفى الخشاب:**النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة**، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م، القاهرة (مصر)، 2008، ص.ص(84-85).

19- علياء شكري: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**، دار المعرفة الجامعية المصرية، القاهرة، 1992، ص169.

20- فائـــز القنطار: **الأمومـــــــة**، سلسلة عالم المعرفة، العدد الأول، المغرب، 2005، ص.ص(153-154).

21- مصطفى بوتفنوشت: مرجع سابق، ص37.

22- نفس المرجع، ص38.

23- Bourdieu Pierre: **Sociologie de l'Algérie**, Septième Edition, Presses Universitaire de France, Paris, 1985, P.59.

24- LaouariAddi: **Les mutations de la société Algérienne** (famille et lien social en Algérie contemporaine), Edition la découverte, Paris, 1999, P.P(49-50).

***العشيرة أو الفرقة**:يعرفها (دينكن ميتشيل في معجم علم الاجتماع، 1986 ، ص 46) على أنها: "مجموعة من الأفراد تنحدر من نسب واحد ولها جد مشترك والانتماء إليها يكون إما عن طريق النســـب الأبـــوي أو النسب الأمي ولا يكون عن طريق النسبين".

*تعريف **الأسرة النووية**من خلال قاموس الاجتماع ((هي جماعة بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة يقوم بينهما روابط زواجية)) .